محمّد أحمد العزب

الزّحام

في قلب مدينتنا ، لا يعرف انسانٌ فينا ظلّه
الظلُّ تسلّق اكتافَ الاشياءِ ، واكتافَ الاحياءْ
ظلّي لا يسقط فوق الارض لكي يرتاح من الاعياءْ
ابداً مصلوبٌ فوق وجوه الاغيار
حتى ان لامس وجه الارض
وطئتْه اقدام الناس .
وانا ايضاً في سعيي احمل ظلّ الناس ،
لكني لا اطأ الظلّ .

يا للعار .
اوجهُنا في هذا الزمنِ
لا تحمل غير الاشباحْ
والارض تئنّ بغير جراحْ
لو جُرحتْ سال الدمْ
واخضرّت فوق ثراها الجدب الوف الادواح

من يفديني ؟
من ينقذني من قبضة هذا الطوفان ؟
من يأخذ كلّ العمر لقاء ثوانٍ احيا داخلها
من غير زحام ،
من غير زمانْ ؟

ارنو في صمتٍ للعدم المسدول على وجه الكون ،

واقول لنفسي :
الواحد يحيا فوق الفوْقِ ، وخلف تُخومِ الامكانْ .

يا قلب مدينتنا ، رفْـقا .
انا ظمأ لبحيرات الصمتِ ،
اريد الابحار اليها
فهناك الهمس يُعرّشُ بالحبّ عليها
حتى ان لثغتْ عصفوره
سمعتْها كل الابعاد الزرقاء وهزّت عطفيها .

خذني يا قلب مدينتنا
وارْشُقني في مفرقِ واحهْ
فانا كالضائع في الساحهْ
في قلب مدينتنا اللاغط .

ما عدتُ ارى الا صخَبا
الشّعر يموتْ
والهمسُ يموتْ
والفكرُ تسوّلَ في الضجة بوقاً كي يُسمعَ في الضجّهْ
ضاعت من يده سحنته
وسّدها جوفَ التابوت
ورماها للبحر الاعمى ، تُسْلمها الموجةُ للموجهْ .

لكن واعجبي !
بالامس سهرتُ الى الفجرِ
وخرجتُ الى الشارع وحدي
كي احسوَ قطرات الصمتِ

فهتفتُ بلا وعْيٍ ، كالطفل :
« هذا بيْتي .
العالمُ حين يُضيعُ الضجّةَ من يده بيْتي » .

وتحدَّر بي دربٌ صامت
لدروبٍ تأكل كفّيها وتئنُّ ، تئنُّ بلا صوتِ .

يا عجبا لي !
اني اتعثر في جُثث اللاشيء المركومِ الهائلْ
واحسُّ اصابعه الذهْلى تفقأ عينيّ ، فلا أُبصرْ .

الشارعُ مزحومٌ بفراغٍ يهصر اعمق اعماقي ،
ويسدُّ الافق فلا أُبصرْ
لو انّ الى جنْبي طفلا
او رجلا او حتى بنتا
لاتكأ الخوف باعيننا ومحوناه عند الصبح
لكني يا قدري واحد ،
اتحسّى اعماق الجرْح
ما ابشع ان يحيا الواحد !

قدريْ ان احيا في الضجّهْ
تُسْلِمُني الموجةُ للموجهْ .

قدري ان اضغط فوق المحور حتى تندلع الرجّهْ .